٢ ـ الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

يصف لبيد صيد بقرة وحشية تخلفت عن القطيع تطلب ولدها وقد أكلته الذئاب ، ثم لجأت إلى شجرة مفردة فى الرمال فى ليلة مظلمة ماطرة . ولما أسفر الصبح شرعت تعدو حائرة ، فظلت سبعة أيام حتى يئست من ولدها وقطيعها ، فسمعت حس الإنس فخافت وترددت بها الحيرة بين العدو أمام وخلف . وأرسل الصيادون كلابهم فكانت معركة قتل فيها كلب وفرت البقرة . وهى أبيات جيدة لا يملك قارئها إلا الإشفاق والحزن لهذه البقرة وولدها .

وهذه أبيات للنابغة الذبيانى يصف معركة بين الثور والكلاب ، وهى تشبه فى الصورة العامة أبيات لبيد :

كأنما الرحل منها فوق ذى جُدَد ... ذَبّ الرياد إلى الأشباح نظّار

مُطرَّد أفردت عنه حلائله

من وحش وَجرة أو من وحش ذى قار

مجرّس ، وَحَد جأب أطاع له ... نبات غيث من الوسمى مِبكار

بَرانه ما خلا لبانه لهَق ... وفى القوائم مثل الوشى بالقار

بانت له ليلة شهباء تسفعه ... بحاصب ذات إشمان وإمطار

وبات ضيفاً لأرطاة وألجأه ... مع الظلام إليها وابل سار

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته ... وأسفر الصبح عنه أى إسفار

أهوى له قانص يسعى بأكلبه ... عارى الأشاجع من قُنّاص أنمار

محالف الصيد هبّاش له لحِم ... ما إن عليه ثياب غير أطمار

يسعى بنُصْف براها فهى طاوية ... طولُ ارتحال بها منه وتسيار

حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه ... أشلى وأرسل نُصْفاً كلها ضار

فكرّ محمية من أن يفر كما ... كرّ المحامى حفاظاً خشية العار

فشك بالروق منه صدر أولها ... شك المشاعب أعشاراً بأعشار

ثم انثنى بعد للثانى فأقصده ... بذات ثفر بعيد القعر نهار

وأثبت الثالث الباقى بنافذة ... من باسل عالم بالطعن كرار

وظل فى سبعة منها لحقن به ... يكرّ بالروق فيها كرّ أسوار

حتى إذا ما قضى منها لبانته ... وعاد فيها بإقبال وإدبار

انقض كالكوكب الدرى منصلتاً ... يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

لا يتسع المقال لتفصيل الصورة التى صورها النابغة وتفسير الألفاظ فحسبى أن أبين الصورة إجمالاً :

فى الأبيات الأربعة الأولى شبه الشاعر ناقته بثور وحشى ، ووصف لون الثور فى ظهره وقوائمه : ظهره أبيض وفى قوائمه خطوط سود ، وبين أنه قوى سمين قد رعى نبات الوسمى ، وأنه أقرد عن البقر فهو نفور قلق

وفى الأبيات الثلاثة التالية بيّن أن المطر والريح ألجأا الثور إلى شجرة من الأرطى فبقى عندها حتى الصباح

وفى الأبيات الأخرى وصف الصائد وكلابه وما وقع بين الثور والكلاب العشرة ؛ قتل الثور منها ثلاثة ، ودفع السبعة التى لحقت به حتى :

انقض كالكوكب الدرى متصلتاً ... يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

ثم أراد وصل الكلام بأوله فرجع إلى ذكر الناقة قائلاً :

فذاك شبه قلوصى إذ أضرّ بها

طول السُّرى والسرى من بعد أسفار

وينتهى الوصف بنجاة الحيوان لأن مقصد الشاعر أن يشبه ناقته به وهو يجد فى الهرب ، إلا أبا ذؤيب ومن نهج نهجه فهم يختمون المعركة بقتل الحيوان لأن قصدهم أن يبينوا أن حوادث الدهر تنال حتى هذا الحيوان الوحشى القوى السريع

وقد وصف أحيحة بن الجلاح صيد الظباء والأرانب بالكلاب وأثبت الجاحظ قصيدته فى كتاب الحيوان[1]

فى العصور الإسلامية

أباح الإسلام الصيد وأحل لحم الحيوان الذى يقتله السهم أو كلب الصيد . وفى القرآن الكريم : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه »

(١) انظر كتاب الحيوان ج٢ .